



بالورود وشعار «كفاية» أطاحت الثورة الوردية بنظام شيفرنادزه في جورجيا

4

ثورات الربيع

من صراع القوميات الذي تصاعد إلى حربين عالميتين، إلى صراع الأيديولوجيا الذي أدخل العالم في حرب باردة بين «الجبارين»، وصولاً إلى ما يسمى بعصر القطب الواحد والعولمة، شهد العالم ثورات وانتفاضات شعبية لن تُنسَى لاسيما تلك التي اتسمت بالطابع السلمي.

بعد انتصارها في الحرب الباردة واجهت الولايات المتحدة عمليات استهداف معادية من جماعات إسلامية سبق أن دعمتها أميركا في حربها الضروس ضد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان. وصلت حركة طالبان إلى السلطة في أفغانستان عام 1994، ووفرت ملاذاً آمناً لتنظيم «القاعدة» الذي أسسه أسامة بن لادن بين عامي 1988 و1989 أعلن حربه رسمياً على الولايات المتحدة، وأولى عملياته البارزة كانت محاولة تفجير برج التجارة العالمي في 1993، ثم استهداف السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا عام 1998، قبل أن ينفذ هجمات 11 سبتمبر التي كرسست عملياً نظرية كان قد أطلقها استاذ العلوم السياسية صامويل هنتنجتون عام 1993 عن «صراع الحضارات» اعتبر فيها أنه بعد الحرب الباردة ستكون المواجهة الأعنف على أساس الحضارة، مستعرضاً عدداً من المواجهات المحتملة للحضارة الغربية مع الإسلام والحضارتين الصينية والاندوكية (الهندية). مسار الأحداث والصراع بين «القاعدة» والغرب أعطى النظرية زخماً منقطع النظير ودارت نقاشات مطولة، غالباً ما كانت تنتهي إلى أن المجتمعات الإسلامية ممانعة بحضارتها وموروثاتها للديموقراطية، مستشهدين بالثورة الإيرانية التي لم تقض إلى ديموقراطية بمفهومها الغربي رغم سلميتها، واستبعد كثير من الخبراء وبينهم هنتنجتون أن يشهد العالم العربي ثورات شبيهة بتلك الثورات التي حررت دول أوروبا الشرقية قبل وبعد سقوط جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفييتي.

رحل هنتنجتون عام 2008 قبل 3 سنوات من أحداث اجتاحت فجأة العالم العربي فيها الكثير من سمات الحركات التحررية والديموقراطية السلمية التي سبق ان شهدها الغرب بدءاً من أحداث 1968 في فرنسا إلى ربيع براغ ثم سقوط الجدار، كما لم يشهد قبل وفاته أحداث النرويج في 22 يوليو 2011 والتي تؤكد أن اليمين المسيحي ليس بأقل تطرفاً من اليمين الإسلامي.

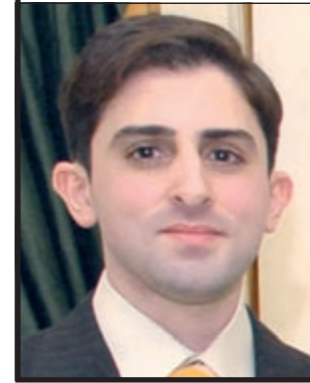
ارجاء كثيرة من العالم العربي المسلم بغالبية شهدت خروج ملايين الشباب إلى الشوارع بحماس منقطع النظير، بدأ في تونس وامتد إلى دول أخرى تحت شعار «الشعب يريد إسقاط النظام» مستفيدين من ثورة التكنولوجيا القادمة من الغرب والإعلام الجديد الذي قدمته شبكة الإنترنت.

قوبلت الثورات بترحيب غربي وبذلت الدول الغربية وسفاراتها جهوداً كبيرة على غرار تلك التي بذلتها في نهاية الثمانينيات في أوروبا الشرقية.

وحاولت مساعدة الثوار في أكثر من حالة كان أوضحها ليبيا على تشكيل سلطة مؤقتة بديلة تتولى المرحلة الانتقالية خلال وبعد سقوط النظام.

بمناسبة ما أطلق عليه «الربيع العربي» نستعيد بالذاكرة بعض الثورات المشابهة في أوروبا والعالم خلال العقود الماضية منها الثورة المخملية في تشيكوسلوفاكيا والثورة الوردية في جورجيا والبرتغالية في أوكرانيا وثورة التوليب في قيرغيزيا وثورة البلدوزر في صربيا وثورة الغناء في دول البلطيق، إضافة إلى بعض تجارب القرن الماضي في مجال النضال السلمي للحركات التحررية وصولاً إلى الثورات العربية.

● بقلم: محمد الحسيني



الحرب مع روسيا

وانفصال أبخازيا

وأوسيتيا الجنوبية سرقا

وهج الثورة وورديتها

وبيدا كثيراً من أحلام

الجورجيين



قبل الحرب مع روسيا عام 2008 التي سلطت الضوء على جورجيا وانتهدت بانفصال كل من مقاطعتي أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا عنها واعتراف روسيا بهما كدولتين مستقلتين وسط ذهول العالم أمام عجز الولايات المتحدة وأوروبا عن فعل شيء غير التنديد والاستنكار كانت جورجيا قد سرقت الأضواء قبل ذلك بثورتها الوردية عام 2003 التي أطاحت بالرئيس اوارد شيفرنادزه (أحد أشهر وزراء خارجية الاتحاد السوفييتي قبل انهيار الاتحاد) قبل عامين من نهاية ولايته، وذلك بعد عمليات تزوير في استفتاء عام لتقليص عدد أعضاء البرلمان من 235 إلى 150 بالتزامن مع انتخابات برلمانية، دفعت بأحزاب المعارضة ورموزها وعلى رأسهم وزير العدل السابق في عهد شيفرنادزه مايكل ساكشفيلي إلى الدعوة إلى تظاهرات سلمية وعصيان مدني دفع بعشرات ألوف الجورجيين إلى شوارع العاصمة تبليسي.

وبعد الانتخابات وعندما حاول شيفرنادزه دخول البرلمان يوم 22 نوفمبر 2003 لافتتاح دور انعقاده اقتحمه نواب المعارضة وبينهم ساكشفيلي وجماهيرها حاملين وروداً مجبرين شيفرنادزه على الهروب من السباب الخلفي، مما أدى إلى مزيد من التفاعل الشعبي مع الثورة رغم إعلان شيفرنادزه حالة الطوارئ وانتشار قواته في العاصمة وخاصة في محيط مقر إقامته.

العنصر الحاسم كان في رفض كبار قادة الجيش خوض مغامرة المواجهة مع الشعب وهو ما شكل ضغطاً هائلاً على شيفرنادزه الذي استعان بروسيا منذ دخل وزير خارجيتها إيغور ايقانوف على الخط وانتهت المفاوضات بالاتفاق على تنحي الرئيس يوم 23 نوفمبر. بسبب هذه التطورات غير العادية سرقت جورجيا الأضواء يومي 22 و23 نوفمبر 2003 من المواجهات الدموية في العراق والتي عادة ما كانت تنصدر نشرات الأخبار في ذلك العام.

تحرك المظاهرون رافعين شعار كامرا (كفاية). اكتسب التحرك في جورجيا أهمية كبيرة نظراً لحساسية المكان، فالوضع هناك لم يكن مختلفاً كثيراً عما تشهده دول أخرى في المحيط السوفييتي وخاصة الجارة أوكرانيا التي ثارت بعد عام بشكل مشابه وهو ما جعل العالم يتساءل إذا ما كان ثمة حرب باردة ثانية في محيط روسيا وريثة الاتحاد السوفييتي.

لم يكن «الكرملين» راضياً إطلاقاً عما يجري في تبليسي وكان الرئيس الروسي آنذاك فلاديمير بوتين يرى في تغيير النظام عبر الشارع مؤشراً خطيراً جداً ولذلك سعت روسيا للتدخل ومحاوله التأثير والمساعدة على احتواء الموقف.

وبالمقابل كانت الولايات المتحدة تتابع التطورات عن كثب كان المسؤولون الأميركيون من أعلى الهرم إلى اصغر متحدث في وزارة الخارجية يرحبون بمسعى الشعب الجورجي لـ «التغيير ورفضه للفساد والظلم» مؤكداً مساندتهم لـ «تطلعات الشعب الجورجي» وهي أدبيات لم تعد غريبة اليوم في ظل تكرارها في غير مكان في العالم.

وبالتزامن مع ذلك نشطت المنظمات الدولية غير الحكومية وقدمت دعماً وتمويلاً للثورة.

كان صدى تنحي شيفرنادزه مدويًا وعمت الشوارع احتفالات تاريخية صاخبة.

أعقب تنحي شيفرنادزه قرار للمحكمة العليا بإلغاء نتائج الانتخابات البرلمانية، وفي 4 يناير 2004 اجريت انتخابات رئاسية فاز فيها ساكشفيلي الذي دعا إلى انتخابات برلمانية جديدة فاز فيها حزبه في 21 مارس 2004.

بداية ترددات الثورة الوردية كانت داخلية وتحديداً في إقليم اجاريا، حيث خرج الاجاريون في تظاهرات وردية جديدة ضد اعلان اياشين الذي اعطى اوامره إلى رجال الامن لردع المظاهرين لكن مرة أخرى نجح المظاهرون مدعومين من الحكومة الاتحادية هذه المرة فأضطر اياشين إلى التنحي.

رغم نجاح الثورة في تغيير الرئيس لم يسود رحيل شيفرنادزه ومجيء ساكشفيلي إلى تغيير كبير في حياة المواطن الجورجي تجلّى في تراجع شعبية الرئيس الحالي الذي حقق فوزاً باهتاً وجديلاً بولايته الثانية عام 2008.

التحديات الكبيرة ونفوذ قوى الفساد والخلافات السياسية والحزبية حدت من قدرة ساكشفيلي على التغيير الملموس يضاف إلى ذلك ضعف أداء الحكومة والتأثير الروسي والتوتر في الاقاليم وهو ما دفع بباكار بيريكاشفيلي وهو عضو في حركة الشباب العالمي الاشتراكي إلى الاستشهاد بقول مغني «البيتلز» البريطاني الراحل جون لينون الذي قال: «علينا ان نصنع حياتنا بانفسنا والا نعتد على رؤسنا».



اوارد شيفرنادزه



مايكل ساكشفيلي



الثورة السلمية في جورجيا انطلقت بالورود